ثقافة

الياس خوري

تلك صورتها
وهذا انتحار العاشق

يتابع محمود درويش في قصيدته الجديدة ، محاوراته لصياغة الحلم الفلسطيني ، عبر انسياب اللغة الشعرية وانفجاراتها . بين الندى والانتحار يقف المتكلم الغائب على عتبة الانفجارات ، يرسم بلهب الدماء خريطة الوطن ، انطلاقا من جسده ومن الزمن الذي يرسمه الموت والدم . فالشعر عند محمود درويش هو محاورة للواقع ، واعادة صياغة لعلاقاته . فالزمن الفدائي هو زمن جديد يعطي الاشياء مقاييس جديدة داخل علاقة الشاعر بالقصيدة والوطن . الاساسي في هذه القصيدة هو كونها استكمالا متقدما لعلاقة الزمن بالمكان الفلسطيني ، حيث يأتي وعي الشاعر من داخل لغة الايقاع الشعرية ليصبح نقطة تقاطع العلاقة ، وليعيد ترتيب المكان الفلسطيني في زمنه الذي يتوحد بالفعل المقاتل . محاولة التوحيد هذه التي بدأت في « احبك او لا احبك » ثم اتسعت في « الخروج من ساحل المتوسط » تأتي هنا لتجد محطتها الاساسية ، فالوعي الفني الفلسطيني حين يتحلق حول الارض — المكان ، بنبرة مليئة بالحنين ، فانه يهيء للفعل التاريخي . لذلك يأتي هذا الفعل ليكثف الوعي ويجعله يتحلق حول الانسان ، الذي يقوم بدوره باعادة صياغة للزمن . بين الندى والانتحار ، بين الارض ونقيضها الذي يعيد لها المعنى ، يقف المتكلم الغائب ، في اكثر محاوراته مأساوية واستدارة ، ليرسم اطارات الحركة ، وليضبح وعيه ذاكرة جماعية ، تلتقط من اليومي المباشر ، لحظة الامتداد نحو زمن عربي . فيأتلف صوت البحث التشكيلي واعادة نسج العلاقات بصوت الفعل المأسوي وهو يتقدم من وعي اللحظة الى وعي التاريخ .

المتكلم الغائب .

« واريد ان انقمص الاسوار :

قد كذب النحيل عليه . اشهد انه وجد الرصاصة
انه اخفى الرصاصة
انه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار ».

في ثلاث محاورات بين صيغتي المتكلم والغائب ، يفتتح درويش قصيدته وهو يحاكم الطبيعة والزمن ، ليشهد ضد البداية والنهاية ويمتد الى نهاره الذي تصنعه الممارسة . في لعبة الضمائر والحوار المستحيل هذا ، تنطلق اللغة الشعرية الى تداعيات داخل الذات . تقسم الذات الى نقيضين ، موقفين متحاورين ، لا يوحدهما سوى اللهب الموسيقي الذي ينفجر في نهاية القصيدة وكأنه الحركة الاخيرة في ايقاع الموت — الحياة . هذين الموقفين اللذين يقسمان الذات يكشفان الموضوع من داخل جدل الحوار . لا يضع درويش مباحة بين الذات والموضوع ، فالموضوع هو الحركة الداخلية التي تقسم الذات وتعيد توحيدها . لذلك لا موضوع للقصيدة خارج حركتها الداخلية ، ولا وجود للايقاع خارج استداراته التي تستطيع ان تلخص حركة الصراع في لغة مباشرة ومعقدة ، حادة ومستديرة . لذلك ، فيما يتقدم درويش في تجريبيته الفنية ، يستعيد شعره بأسره . يلخصه داخل محاور

---

* محمود درويش : **تلك صورتها .. وهذا انتحار العاشق** . مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ .